

عاد إلى بيته وذويه مرفوع الرأس ، ضاحك العين ، منبسط
الأسارير وكأنه يقول : « رأيتم كيف استعدت شرني سليماً
من الأذى ، طاهراً من الأقدار ؟ »
إن شرفاً يعطيكه لسان ويتزعه منك لسان لشرف أقلّ
ما يقال فيه إنه ألعوبة الأقدار ، وذرة من هباء في الهواء .
وشرف ذلك شأنه ليس حقيقاً بأن تُبدل في سبيله كلمة أو
حركة . فكيف بأنهار الدماء تراق « على جوانبه ؟ »
ما عرفت رجلاً صادقاً جعله كلام الناس كذباً ولا
كذباً استطاعت ألسنة الناس أن تجعل منه رجلاً صادقاً .
فما أسخف الصادق يمتشق سيفاً في وجه من اتهمه بالكذب ،
أو يلجأ إلى القضاء ليبرهن للناس أنه صادق ! وما أحق
الكنوب يحاول أن يثبت بالشتائم ، وبالوعيد والتهديد ،
أنه رجل صادق ! فالزمان للثنين بالمرصاد . وهو الشاهد
الوحيد الذي لا تخدعه دعاية ، ولا يصرفه عن الحق أيّ تهويل .
ثمّ ما أجهل الناس يتقاتلون ويتباغضون ويتناحرون في سبيل
ما يتوهمونه شرفاً وما هو من الشرف بنخمر أو بخلّ . وحسبه
زيفاً أن يكون هبةً من الناس إلى الناس . إذ كيف للناس ،
وهم حيث هم من الضعف والجهل وتضعض الأفكار والنيات ،
وتضارب الآراء والشهوات ، أن يشرف واحداهم الآخر ؟
إنما يشرف الإنسان من كان فوق الإنسان . أمّا الإنسان